التبيان الألمع
لمراتب التلاوة الأربع

بقلم
عبد العزيز بن إبراهيم
السوداني

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

اعلم رحمك الله وغفر لك ووفقك وسددك:

أن المبالغة والتّكلّف لتحقيق إخراج الحروف من مخارجها قبيح مذموم، والاعتدال في كلّ شيء حسن محمود.

وقد جرى أهل التجويد والقراءة على تقسيم صور الأداء إلى أربع مراتب جدير بالقارئ مراعاتها ليبقى في حدود المشروع، هي كالتّالي:

١ - التحقيق: وهو في اللغة: التدقيق والتأكد والإنجاز.

وفي الاصطلاح: التأني في القراءة بإعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزات، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف وإخراج بعضها من بعض بالسكت، والترسل، واليسر، والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك، ولا إدغامه... إلخ من مراعات جميع أحكام التجويد.[1]

وفائدته: «رياضة الألسن، وتقويم الألفاظ، وإقامة القراءة بغاية التّرتيل، وهو الّذي يستحسن ويستحبّ الأخذ به على المتعلّمين، من غير أن يتجاوز فيه إلى

---

(١) انظر: بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن (ص ٧).

حدّ الإفراط: من تحريك السّواكن، وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الرّاءات، وتطنين النّونات بالمبالغة في الغنّات».[٢]

قال الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي[٣] رحمه الله وغفر له: «التحقيق يكون لرياضة

---

(٢) انظر: النّشر في القراءات العشر (١/ ٢٠٥).

(٣) نسبة إلى بلده التي رحل إليها جده الأدنى (محمد بن سابق الدين، وهي (أسيوط) وفيها خمس لغات: بضم الهمزة، وفتحها، وسيوط بتثليث السين، وقد نسب إلى أسيوط جماعة من أهل العلم قبل جلال الدين السيوطي وبعده، إلا أنه تفرد بهذه النسبة أو كاد، بحيث صارت إذ أطلقت لا تنصرف إلى إليه، وأفرد السيوطي رحمه الله في تاريخها مجلدًا لطيفًا نفيسًا (أسماه: المضبوط في أخبار أسيوط)؛ اقتداء بمن أفرد بلده تاريخًا من المحدثين،=

الألسن وتقويم الألفاظ، ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتحريك السواكن، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات، كما قال حمزة -رحمه الله تعالى- لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: «أما علمت أن ما فوق البياض برص، وما فوق الجعودة قطط، وما فوق القراءة ليس بقراءة». اهـ[٤]

٢ - الحدر: في اللغة: الإسراع.

=والطريف أنه لم ير أسيوط، ولم يسافر إليها مطلقًا. انظر: التحدث بنعمة الله (ص ١٠ - ٣٥).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٣٢).

وفي الاصطلاح: هو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة، ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ، وتمكن الحروف بدون بتر حروف المد، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة، والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة، وهذا النوع مذهب ابن كثير، وأبي جعفر، ومن قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب.[٥]

---

(٥) المصدر السابق، والمراد بـ (القصر) قصر المدود، و (التّسكين) المنقول مثله عن بعض أئمّة القراءة في مثل: ﴿ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾ [النّساء: ١١٥] بتسكين الهاء في الموضعين، و (الاختلاس) عكس =

ويتلخص من ذلك: أن الحدر: هو الإسراع فى القراءة مع مراعاة الأحكام.

ويشترط لجواز القراءة بهذا: أن لا يخرج القارئ به عن الأدنى في صفات الحروف، فلا يصيّر حروف المدّ الألف والواو والياء بمنزلة الحركات، ولا يذهب

=الإشباع، كالشّأن في إشباع الكسرة حتّى تكون ياء في قوله تعالى: ﴿ تُرْزَقَانِهِ ﴾ [يوسف: ٣٧]، والاختلاس بترك ذلك الإشباع، و (البدل) مثل: ﴿ الصِّراطَ ﴾ بالصّاد والسّين، و (الإدغام الكبير) يكون بالتقاء حرفين متماثلين أو متجانسين أو متقاربين، كلاهما متحرّكان، فيسكّن الأوّل ويدغم في الثّاني، مثل: ﴿ النَّاسَ سُكارى ﴾، ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ﴾، ﴿ النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾.

بصوت الحركة كلّيًا، ولا يغفل الغنّة، ولا يصير إلى ابتلاع حرف صحيح بعضه أو كلّه.

وهذا النّمط في القراءة يحتاج إليه لتثبيت الحفظ، أو لتكثير التّلاوة، ولا يساعد على الفقه والتّدبّر كما ينبغي.

٣ – التدوير: وهو في اللغة: جعل الشيء على شكل دائرة أي: حلقة.

وفي الاصطلاح: هو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحدر، أو بين التحقيق والحدر. قال الحافظ السيوطي في الإتقان: «وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مدّ المنفصل ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء».اهـ

٤ – الترتيل: وهو فى اللغة: الترسل.

ويقال: رتل الكلام: أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه.

وترتيل القراءة: الترسل فيها والتبيين من غير بغي.[٦]

وفي الاصطلاح: القراءة بتؤدة واطمئنان مع تدبر المعاني ومراعاة أحكام التجويد من إعطاء الحروف حقها من الصفات والمخارج، ومد الممدود وقصر المقصور، وترقيق المرقق، وتفخيم المفخم مما يتفق وقواعد التجويد، وهو أفضل المراتب الأربعة، فقد أمر الله تعالى نبيه صلّى الله عليه وسلم فقال جل شأنه: ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤].

والذي أميل إليه: أنّ التّحقيق والتّدوير جميعا من جملة التّرتيل، إذ الأمر يرجع في جميعها إلى ترك الإسراع في القراءة، والتّفاوت في البطء لا ينضبط، خاصّة إذا

---

(٦) انظر: لسان العرب، لابن منظور مادة «رتل» (٣/ ١٥٧٨) طبعة دار المعارف.

لاحظنا أنّ الإتيان بأحكام التّلاوة على التّمام مراد في كلّ ذلك.

والفرق بين الترتيل والتحقيق- فيما ذكره بعض العلماء- أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط، فكل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقا.[٧]

وقول السيوطي رحمه الله: «كل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيقا».

يريد به بيان النسبة بين الترتيل والتحقيق- على ما أعتقد- مما يكون فى مقام التعليم يطلق عليه تحقيق

---

(٧) انظر: الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (١/ ١٣٢).

ويطلق عليه ترتيل أيضًا؛ لأن مقام التعليم لا ينافي التدبر والتفكر، وما يكون في مقام التدبر والتفكر يطلق عليه ترتيل، ولا يطلق عليه تحقيق؛ لأنه ليس مقام تعليم وتمرين.

إذن: فالتحقيق أعم والترتيل أخص، والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، وهو أن يجتمع الشيئان في شيء واحد وينفرد الأعم.

فهذه هي **مراتب التلاوة** وما زاد على تلك المراتب في أداء اللّفظ فهو خروج عن صفة التّلاوة المشروعة، ودخول في جملة التّكلّف المذموم.

قال الإمام ابن الجزريّ رحمه الله: «ليس التّجويد بتمضيغ اللّسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفكّ، ولا بترعيد الصّوت، ولا بتمطيط الشّدّ، ولا بتقطيع المدّ، ولا بتطنين الغنّات، ولا بحصرمة الرّاءات،

قراءة تنفر عنها الطّباع، وتمجّها القلوب والأسماع، بل القراءة السّهلة العذبة الحلوة اللّطيفة، الّتي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسّف ولا تكلّف، ولا تصنّع ولا تنطّع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء، بوجه من وجوه القراءات والأداء»اهـ.[٨]

وكان الإمام حمزة بن حبيب الزّيّات أحد أئمّة القراءة السّبعة وهو ممّن اشتهرت قراءته بالتّحقيق في الأداء، يقول: «إنّ لهذا التّحقيق منتهى ينتهي إليه، ثمّ يكون قبيحا، مثل البياض له منتهى ينتهي إليه، وإذا زاد صار برصا، ومثل الجعودة لها منتهى تنتهي إليه، فإذا زادت صارت قططا».[٩]

---

(٨) انظر: النّشر (١/ ٢١٣).

(٩) انظر: السّبعة، لابن مجاهد (ص: ٧٧).

تم المراد

بعون الملك الوهاب

بقلم

أبي عبد الله

عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله

السوداني الدارفوري

وفقه الله وسدده

ليلة الأربعاء ١٨ / جمادى الآخرة لعام ١٤٤٤ هـ

المهرة – مديرية حصوين